وعليه من النظارة أطواق، ومن الزحام طباق، وبين يديه فتى
كالصمصامة مستهدف للمحاماة، والشيخ يقول له: أداراك
قد أبرزت رأسك قبل أن تبرز قرطاسك، ووليتني
قذالك، ولم تقل لي ذالك، وكنت حتى ينبع نقد ابنين
ولا يطلب أثرا بعد عين، فإن أنت رضخت بالعين
جمحت في الأخذ عني، وإن كنت ترى الشح أولى، وخزن
الفلس في النفس أحلى، فاقرأ عبس وتولى، واغرب عني
وإلا. فقال الفتى: والذي حرم صوغ المين، كما حرم صيد
الحرمين، إني لأفلس من ابن يومين، فثق بسنبل تلعتي، وانظرني
إلى سعتي. فقال الشيخ: ويحك، إن مثل الوعود كغرس العود
وهو بين أن يدركه العطب، أو يدرك منه الرطب، فما
يدريني أيحصل لي من عودك جنى، أم أحصل منه على عنا، ثم ما
الثقة بأنك حين تتبعد تستغني بما تعد، وقد صار الغدر
كالتحجيل في جبلة هذا الجيل، فأرحني بالله من التعذيب
وارحل إلى حيث يعوي الذيب. فاستوى الغلام إليه وقد
استوى الخجل عليه، وقال: والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس

الوعد

الوغد، ولا يرد عذب الغدر إلا الوضيع القدر، ولو عرفت من أنا
لما أسمعتني الخنا، لكنك جهلت فقلت، وخبثت وجب
أن تسجد ثبت، وما أقبح الغربة والإقلال، ولحسن قول من قال:

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما يشين الحر موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطال ما أصلي الياقوت جمر غضا ... ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ: يا ويلة أبيك، وعيلة أهليك، أأنت في
موقف فخر تطهره، وحسب تشهره، أم في موقف جلد تكشط، وقفا
تشرط، وهب أنك لك البيت كما ادعيت، أتحصل بذلك لحم
قدرك، لا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف، أو لخالك دار
عبد المدان، فلا تضرب بحديد بارد، ولا تطلب ما لست له بواجد
وباه إذا باهيت بموجودك، لا بجدودك، وبمحصولك، لا بأصولك
وبصفاتك، لا برفاتك، وبإعلاقك، لا بأعراقك، ولا تطع الطمع
ولا تتبع الهوى فيضلك، ولله القائل لابنه: شعر

بني استقم فالعود تنمي فروعه ... قويما ويغشاه إذا ما التوى التوى